الأمثال في مقامات الحريري– دراسة مضمونية

Proverbs in Al-Hariri's maqamat - a content study

د. نوزاد شكر الميراني
أستاذ
جامعة صلاح الدين– أربيل
كلية اللغات– قسم اللغة العربية

Dr. Nawzad Shukr Al-Mirani
professor
Saladin University - Erbil
College of Languages - Department of Arabic Language

nawzad.ismail@su.edu.krd

الكلمات المفتاحية: أمثال، مقامات الحريري، الاستدعاء

Keywords: Proverbs, Al-Hariri's shrines, call

الملخص

لقد أنشأ الحريري (ت٥١٦هـ) خمسين مقامة، تناول فيها مواضيع شتى، وقد رصعها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأمثال العربية التي استعار أغلبها من تجاربه الحياتية، وقد وظف الحريري هذه اللأمثال في مقاماته لما لها من أهمية حجاجية تداولية، وكونها غزيرة المعنى وتؤنس النفوس بالفكرة المطروحة وتعين على قبولها، ومن هنا أراد الباحث أن يسلط الضوء عليها لسببين، الأول: إن الحديث عن الأمثال ممتع ومفيد لما تتضمنه من تجارب انسانية عميقة تخفي في ثناياها كثيراً من الحقائق العلمية والاجتماعية والنفسية المرتبطة بالفرد ومجتمعه، والثاني: أن هذه الأمثال لم تجد من يولها حقها ويؤطرها في دراسة علمية أكاديمية خاصة، ومن هنا استقر العنوان على (الأمثال في مقامات الحريري–دراسة مضمونية).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يسقر في منهجه على تمهيد ومبحثين مسبوقين بمقدمة ومنتهيين بخاتمة بأبرز النتائج التي توصل إليها، تناول التمهيد تعريف المثل وأهميته والفرق بينه وبين الحكمة، ودرس المبحث الأول: المضامين التربوية والاجتماعية للأمثال في مقامات الحريري، في حين درس المبحث الثاني: الأمثال ذات المضامين التعليمية التهذيبية، وقد طغى المضمون التربوي للأمثال على باقي المضامين لذلك كثرت فيها معاني النصح والارشاد والتوجيه، وقد وردت الأمثال في المقامات الحريرية على شكلين، الأول: استدعاء المثل بعبارته التامة، والثاني استدعاء المثل عبر تحوير عباراته ليلائم السياق المقامي الوارد فيه.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

تحتوي مقامات الحريري على فنون أدبية مختلفة، ففيها الأشعار والخطب والرسائل والألغاز والنوادر وتضمينات من الأمثال العربية، وقد أخذت هذه الأمثال مساحة واسعة من المقامات الحريرية، فقلما تخلو مقامة من مقاماته من الأمثال، ومن هنا أراد الباحث أن يسلط الضوء عليها لسببين، الأول: إن الحديث عن الأمثال ممتع ومفيد لما تتضمنه من تجارب انسانية عميقة تخفي في ثناياها كثيراً من الحقائق العلمية والاجتماعية والنفسية المرتبطة بالفرد ومجتمعه، والثاني: أن هذه الأمثال لم تجد من يولها حقها ويؤطرها في دراسة علمية أكاديمية خاصة، ومن هنا استقر العنوان على (الأمثال في مقامات الحريري–دراسة مضمونية).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يستقر في منهجه على تمهيد ومبحثين، تناول التمهيد تعريف المثل وأهميته والفرق بينه وبين الحكمة، ودرس المبحث الأول: المضامين التربوية والاجتماعية للأمثال في مقامات الحريري، في حين درس المبحث الثاني: الأمثال ذات المضامين التعليمية التهذيبية، ثم جاءت الخاتمة لتلخص أبرز النتائج التي توصل إليها البحث خلال مسيرته.

أما بخصوص المصادر والمراجع فكان كتاب شرح مقامات الحريري البصري للشريشي، والمحقق من قبل محمد عبدالمنعم خفاجي المصدر الأساس لاستقاء المادة ثم الرجوع إلى المصادر القديمة والمراجع الحديثة التي تناولت المقامات بشكل عام ومقامات الحريري بشكل خاص، وقد أفاد الباحث من الدراسات المعقودة عن الأمثال ولاسيما كتاب(الأمثال في النثر العربي القديم، للدكتور عبدالمجيد عابدين) وكتاب (مجمع الأمثال، للميداني) الذي تم توثيق أغلب الأمثال منهِ.

أما المنهج المتبع في الدراسة فقد احتضنه المنهج التاريخي، وذلك لكون الأمثال مرتبطة بقصص أغلبها تاريخية مرتبطة بحادثة معينة ومناسبة قيلت فيها، وأخيراً أرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة إلى الدراسات التي تناولت المقامات بشكل عام، ومقامات الحريري بشكل خاص، والله ولي التوفيق.

التمهيد

لقد صرح الحريري[١] بأنه رصع مقاماته[٢] بالأمثال، أذ يقول: (أنشأتُ خمسين مقامة تحتوي على جدِّ القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الأدب ونوادره إلى ما وشحتها به من الآيات ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية)[٣] لقد وظف الحريري الأمثال في مقاماته لما فيها من الحكمة وفصل الخطاب بعد أن استعار أغلبها من تجاربه الحياتية، ولا يطمح هذا البحث أن يؤصل للمثل في الأدب العربي بقدر ما يريد أن يسلط الضوء على أهميته ويفتح مدخلا لدراسته والوقوف عند أسراره ووظيفته الجمالية في المقامات الحريرية.

وقد تعددت تعريفات المثل في النثر العربي حتى أصبح من الصعب تحديده، فالأمثال عند مجدي وهبة: (قصص بسيطة رمزية غالباً ما تدل على مغزى أخلاقي يتداولها

---

(١) الحريري: هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، ولد في (مشان) بلدة قرب البصرة سنة(٤٢٦هـ) في خلافة المسترشد بالله، وتوفي سنة(٤١٦هـ) فكان في غاية الذكاء والفطنة والفصاحة، ألف خمسون مقامة فاق بديع الزمان الهمدني فيها، وله بجانب مقاماته ديوان شعر ومجموعة من الرسائل والكتب، اختار راويا لمقاماته سماه (الحارث بن همام) وبطلا سماه (أبو زيد السروجي) ينظر حياته في: وفيات الأعيان:١/٤٢٠، وشذرات الذهب:٤/٥٢، ومعجم الأدباء:١٦/٢٦١.

(٢) المقامات: هي نوع من الكتابة الفنية على شكل أقصوصة منمقة في ألفاظها وأسلوبها وفيها شيء من الحوار، تعتمد عادة على راوٍ واحد وبطل أديب متحايل، ويراد بها وصف حالة نفسية أو مفارقة أدبية أو مسألة دينية، وتنطوي على نوع من أنواع التهكم والسخرية والنقد السياسي والاجتماعي، وقد صورت المقامات المجتمع العباسي في جوانبه السياسية والاجتماعية والأخلاقية، فهي موسوعية المقاصد والأغراض، وقد احتوت في ثناياها الحكم والعظات والنقد الأدبي والاجتماعي وجملة من المعارف وتضمينات من الأمثال، وقد أغنت الأدب العربي بروافد أسلوبية ولغوية وبيانية فغدت ذخيرة لغوية للسان العربي والنموذج الرفيع للأدب الجدير بالاحتذاء والإهتمام(ينظر: النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك: ١ /٢٤٢، وفن المقامات في الأدب العربي، عبدالملك مرتاض: ٢٣، وصفها(جب) بأنها: أكثر ضروب النثر العربي أناقة، ينظر: تراث الاسلام، جب: ٢/١٨٧

(٣) شرح مقامات الحريري البصري، أبو العباس أحمد الشريشي(ت٦٢٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي: ١/ ١٨-١٩.

الناس وتتضمن فكرة حكيمة في مجال الحياة البشرية وتقلُّباتها، وتصاغ عادة بأسلوب مجازي يستميل الخيال ويسهل حفظه)[١].

وقيل هي: (جمل قصيرة موجزة، غزيرة المعنى، شائعة الاستعمال قد تكون شعرا أو نثرا ولها دلالة تضرب لها، ومناسبة تقال فيها، وغالبا ما تنشأ من قصة أو أسطورة ذات دلالة عليها)[٢]، فالأمثال شكل من أشكال التعبير، لاتخلو أية ثقافة منه، إنه تعبير عن رؤية فكرية وموقف معين من الحياة[٣].

فالأمثال تتمتع بأهمية حجاجية كبيرة، كونها تمثل خبرة عامة ذات دلالة تاريخية اجتماعية رسخت في اللاشعور الجمعي للمتلقين، مما يجعلهم يسلمون بها دون تفكير عندما يتلقونها[٤]، والأمثال على أنواع، منها:

– المثل السائر، والذي يعرف بحكمة كثيرة الشيوع والانتشار، والمثل القياسي: الذي هو سرد وصفي أو قصصي، أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، يسميه البلاغيون بالتشبيه المركب، والمثل الخرافي: وهو حكاية ذات مغزى على لسان الحيوانات لغرض تعليمي أو فكاهي أو ما شابه ذلك وتنسب فيه الأحاسيس إلى الحيوانات ويراد بها غيرها[٥]، كما في قولهم: (أُكلتُ يوم أكل الثور الأبيض)[٦].

وقد تنبه الدارسون والبلاغيون إلى أهمية المثل في احداث الإقناع، لذلك قال تعإلى: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون)[٧] وقد يجتمع في المثل ما لا يجتمع في غيره من الكلام، من إيجاز اللفظ والاصابة في المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، وهذه هي نهاية البلاغة، لذلك قال ابن المقفع: (إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع)[٨].

---

(١) معجم مصطلحات الأدب: ٤٤٨.

(٢) الأمثال في الحديث الشريف، علي موسى الكعبي:١٤.

(٣) الأمثال في النثر العربي القديم، د. عبدالمجيد عابدين:١٤أو ١٩.

(٤) المناظرة في الأدب العربي، حسين صديق:١٩٤.

(٥) الأمثال في النثر العربي القديم، عبد المجيد عابدين:١٤، وينظر: معجم مصطلحات الأدب، د. مجدي وهبة:٥.

(٦) مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد:٢٤/١، رقم المثل(٨١).

(٧) الزمر: ٢٧.

(٨) نقلا عن مجمع الأمثال، للميداني: ٦/١.

وتتميز الأمثال بفصاحتها وبلاغتها وقد يظهر فيها التأنق في اختيار اللفظ وحسن الصياغة وجمال الأسلوب والحرص على النغم وحلاوة الجرس، كما تظهر أهمية الأمثال في كونها(تعبر عن حقائق خالدة عن حياة الانسان، وأنها تختزل تجارب الشعوب وخبراتها الطويلة والمتنوعة)[١]، فإن للأمثال أثر بارز في حياة الناس، لقد أشادوا بها واهتموا بمعطياتها وعملوا بنصوصها، وذلك لصحتها واتفاق الناس حولها وتسليمهم بصوابها، فتعين من استعان بها وتهديه لما ينبغي أن يفعل، وإنها وضعت لتفيد التيقظ والتنبه على مواضع الزلل واعطاء التجارب الحياتية للناس، لذلك فلا غنى عنها للناس، وهم يلجؤن إليها للتنفيس عما يلم بهم من ضيق وكرب، وقد (اكتسبت الأمثال مكانة راسخة في الأدب العربي، واضحت جزءا من الثقافة العامة ورصيدا معرفيا يغني عن الكثير من الكلام)[٢].

وتلتقي الحكمة مع المثل في بعض وظائفها كالتوجيه والإرشاد، أما من حيث كونها مصطلحا فهي غير المثل، فالحكمة تميل إلى الخطابية في حين يميل المثل إلى التخيل والشعرية، وإن دلالة الحكمة مباشرة ودلالة المثل مجازية تخرج عن المباشرة والتقريرية إلى الإيحاء، ووظيفة الحكمة التوجيه ووظيفة المثل التصوير والتشخيص، فالصلة بين الحكمة والأمثال هي صلة الأصل بالفرع، فالأصل هو الحكمة والمثل باب من أبوابه، لذلك يعد المثل مصدرا وينبوعا للحكمة، لذلك فكل مثل حكمة، وليس كل حكمة مثلا .[٣]

ويمكن استخلاص أبرز الفروق بينهما فيما يلي:

–الشيوع: فهو شرط في المثل، أما الحكمة فلا يشترط فيها.

–المثل قائم على التشبيه(تشبيه مضربه بمورده)، أما الحكمة فمفادها اصابة الحق.

– إن الهدف من المثل الإحتجاج بقصة المثل، أما الهدف من الحكمة فهو التنبيه والإعلام والوعظ، ومع ذلك فقد تختلط الحكمة بالمثل فيطلقان على عبارة واحدة، وذلك عندما تحظى كلمة موجزة بالشيوع والسير بين الناس، لذلك حفلت كتب الأمثال بكثير من الحكم[٤]، كقولهم(السرُّ أمانة)[٥].

---

(١) في النثر العربي(فنون الكتابة)، د. توفيق أبو الرُّب:١.

(٢) الأمثال في الحديث الشريف:١٦.

(٣) الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية، دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال، د. أمين عبدالرحمن حسين(رسالة ماجستير) مقدمة الى جامعة الذيلين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٥م: ١.

(٤) فن الأمثال في مجتمعنا القديم والمعاصر: ٦٨.

(٥) مجمع الأمثال:٣٣١/١، وينظر: المستقصي في الأمثال، للزمخشري: ٣٢٥/١.

فالأمثال تمثل قمة الحكمة، ولها تأثير عجيب على قلوب السامعين، ففيها تأنس النفوس بالفكرة المطروحة عليها وتسرع في قبولها وتنقاد لما فيها من أوامر ونواهي، وإنها وضعت لتفيد التيقظ والتنبه على مواقع الزلل وإعطاء التجارب الحياتية للآخرين.

وقد تنوعت الأمثال في مقامات الحريري، واشتملت على جوانب عديدة من الحياة، فتضمنت مضامين تربوية اجتماعية ومعرفية نفسية تهذيبية، وعليه سيدرس هذا البحث الأمثال في مقامات الحريري ضمن هذين المحورين.

المبحث الأول

الأمثال ذات المضامين التربوية والاجتماعية

تتمحور حول المثل مجموعة من المضامين ذات الأبعاد التربوية والاجتماعية التي يكتسبها الفرد من خلال التربية وتجاربه الحياتية فتجعل من سلوكه سلوكاً سوياً، وقد تكون هذه المضامين ضمنية أو صريحة يتمكن الفرد من استنباطها من خلال سياق المثل، وغالبا ما تتجلى في المثل الدعوة إلى القيم الإيجابية والابتعاد عن العادات السلبية السيئة(١).

ومن هذه المضامين التربوية قوله في (الوفاء بالوعد) في المقامة (الدينارية): (أنجز حرّ وَعَدَ، وسحّ خال إذا رَعَدَ)(٢)، أورد الحريري هذا المثل عندما أنجز أبو زيد السروجي مهمته في وصف الدينار، فأراد المكافأة التي وعد بها عندما قيل له: (إن مدحته نظماً فهو لك حتماً)(٣).

هذا المثل لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، أي لينجز حرّ ما وعد، والشطر الثاني من المثل (وسحّ خال إذا رَعَدَ) أي إن السحاب إذا سمع الرعد سحّ بالمطر، وأنتَ سمعت انشادي ووصفي للدينار، وأنت أسمعتني ذكر الدينار ووعدتني به فأنجز لي وعدي(٤)، وهذا المثل يضرب للحرّ إذا وعد على فعل شيء، ثم وجد ذلك الفعل، والمعنى الحكمي هو التحريض على إنجاز الوعد، وفعلاً كان هذا المثل سبباً في حصوله على الدينار، إذ يقول الحريري على لسان راويته (الحارث بن همام): (فنبذتُ الدينار إليه، وقلتُ خذه غيرُ مأسوفٍ عليه)(٥)، ومن هنا يعد المثل دعامة من دعائم المقامات لما يحققه من تأثير في المتلقي لإقناعه(٦).

ومن المضامين التربوية الدالة على (النصح والإرشاد) قوله: في المقامة (الدمياطية) حيث تأخّر عليهم أبو زيد السروجي (... فلما طال أمر الانتظار، ولاحت الشمس في

---

(١) المضامين التربوية للأمثال السائدة في البيئة الدمشقية، د.منى كشيك، مجلة جامعة دمشق، المجلد(٣٠) العدد(٢) السنة، ٢٠١٤: ٢٠٥.

(٢) شرح مقامات الحريري البصري، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي: ١/ ٧٠ – ٧١، سحَ: صبّ وأمطر، خال: سحاب فيه؛ مطر؛ ينظر: المثل في مجمع الأمثال: ٢/ ٣٣٢، رقم المثل: (٤١٩٤)، وأصل المثل (أنجزَ حرّ ما وعد).

(٣) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ٦٩.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٧١.

(٥) المصدر نفسه: ١/ ٩٠ – ٩١، أصل المثل (إياكم وخضراء الدِّمن)، ينظر: مجمع الأمثال: ١/ ٣٢، رقم الحديث (١٢٦).

(٦) رواه الدار القطني، وتفرد به الواقدي، وهو ضعيف، ينظر منهاج الصالحين، عزالدين بليق: ٣٣٣، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١/ ٦٩ ضعيف جداً.

الإطمار، قلتُ لأصحابي: قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرِّحلة إلى أن أضعنا الزمان، وبات أن الرجل قد مان، فتأهبوا للظّعنِ ولا تلووا على خضراء الدِّمنِ...)[١]، أي لا تعرجوا على عشب المذابل التي هي حسنة المنظر سيئة المخبر، إذا يبست لم يُنتفعْ بعودها لخوره وضعفه، وقد شبه بها أبا زيد السروجي لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته وسوء باطنه في كذبه وإخلاف وعده حتى عطلهم عن سفرهم نهاراً في انتظاره، وهذا المثل مأخوذ من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): ((إياكم وخضراء الدِّمنِ، فقيل له وما خضراء الدِّمن يا رسول الله؟ فقال: الجارية الحسناء في منبِت السوء))[٢].

ومن الأمثال الدالة على (الإباء والعفة) قوله في المقامة (الفرضية) فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثديَيها، وتأبى الدنيّة ولو اضطرت إليها[٣]. تمثل الحريري بهذا المثل على لسان راويته الحارث بن همام في أثناء محاورته مع أبي زيد السروجي، إذ عرض على السروجي عدداً من الأبيات الشعرية التي عجز عدد من الأدباء عن حلها، فقال السروجي أنا أفسر هذه الأبيات، ومن هنا قال له الشيخ: ((إعلم أصلحك الله إن الصدق نباهة، والكذب عاهة، فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن تلحق بمن مان وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان، فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، وتأبى الدنيّة ولو اضطرت إليها))[٤]، مثل يضرب للمرأة التي تصون عرضها وشرفها وإن أذاها الجوع وكذلك (يضرب في صيانة الرجل نفسه من خسيس مكاسب الأموال)[٥].

وقد وظّف الحريري هذا المثل لوجهة حجاجية، وهي أن يترفع بنفسه عن سفاسف الأمور، كالحصول على الطعام والشراب وحتى الأموال مقابل أن يكذب على الناس أو يفتري عليهم... فقد عانى الأنبياء والأولياء من الجوع ولكن ذلك لم يثنيهم عن دعوتهم إلى الله، ولم يحملهم على التذلل والهوان[٦].

---

(١) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ٧١.

(٢) في بلاغة الخطاب الاقناعي، محمد العمري: ٨٢.

(٣) شرح مقامات الحريري البصري: ٢/ ٦٦؛ وينظر مجمع الأمثال: ١/ ١٢٢، رقم المثل: (٦١٩).

(٤) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٥) مجمع الأمثال: ١/ ١٢٣.

(٦) الحوار في المقامات، مقاربة تداولية، جاسم إلياس أحمد الجحيشي (أطروحة دكتوراه)، بإشراف: أ. د. منتصر عبدالقادر الغضنفري، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥: ١٩٥.

فالأمثال لها قدرة متميزة على إيقاظ الحواس وتهيئتها لإحتواء المضامين الأخلاقية بأسلوب بلاغي جميل تأنس به النفوس وتنشرح له الصدور، لذلك يلجأ إليها المرء في حواراته ليجعلها دليلاً على صدق دعواه، ومن ذلك ما دار من حوار في المقامة (الأسكندرية) بين شيخ شديد الدّهاء وزوجته صغيرة السن، حينما تقاضيا أمام قاضٍ قالت الزوجة للقاضي: ((قلت له: يا هذا؟ إنه لا مخبأ بعد بؤسٍ ولا عطر بعد عروس، فانهض لإكتساب بضاعتك وأجنني ثمرة براعتك))[١].

لقد استلهمت المرأة المثل العربي (لا عطر بعد عروس أو لا مخبأ لعطر بعد عروس)[٢]، وهذا مثل يضرب لتأخر الشيء عن وقت الحاجة إليه، وأصله أن رجلاً تزوج إمرأةً فوجدها تفلة (فقال لها أين عطرك؟ فقالت خبأته لغير هذا الوقت، فقال لها لا مخبأ لعطر بعد عروس)[٣].

ومن المضامين التربوية الدالة على (عدم الظن بالآخرين) قوله في المقامة (الملطية): (وما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة)[٤]، وأصل المثل (ما كل بيضاء سمح ولا كل سوداء تمرة)[٥]. يضرب في موضح التهمة وفي خطأ الظن بالآخرين.

ومن المضامين التربوية الدالة على (ذم الحرص) قوله في المقامة (الكوفية): (فربّ أكلةً هاضت الأكل وحرّمتْهُ المآكل)[٦]، وأصل المثل (ربّ أكلة تمنع أكلات)[٧]، أي ربّ أكلةٍ أدخلت على الجسم القئ والإسهال فتذهب عنه شهية الأكل فيحرم من باقي الأكلات، ويضرب هذا المثل في ذم الحرص على الطعام.

وفي المقامة نفسها يورد الحريري مثالاً آخر يعضد به المثل السابق ويصحح مسار النفس الطموحة، بقوله: (خير العشاء سوافره)[٨]، أي خير طعام العشاء ما يؤكل في بقية

---

(١) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ١٧٠ – ١٧١.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ٢١١، رقم المثل (٣٤٩١).

(٣) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ١٧١، وقيل عروس اسم رجل مات عن امرأته، فحملت أواني العطر فكسرتها وصبت العطر على قبره، فوبخها بعض معارفها، فقالت: لا عطر بعد عروس، فذهب مثلا(ينظر: المستقصى في الأمثال، الزمخشري:٢/٢٦٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣/ ١٩٤.

(٥) مجمع الأمثال: ٢/ ٢٨١، رقم المثل (٣٨٦٨).

(٦) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ٩٧. هافت: أدخلت عليه القيء والإسهال.

(٧) مجمع الأمثال: ١/ ٢٩٧، رقم المثل (١٥٧٠).

(٨) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ٩٧، سوافره: بواكره، مستعار من سوافر النساء، جمع سافرة وهي التي كشفت عن وجهها.

ضوء النهار وقبل هجوم الليل، فكأن اللقمة التي أبصرتها عند أكلها قد سفرت الظلام عن نفسها، وقد ورد المثل بصيغة (خير الغذاء بواكره وخير العشاء بواصره)[١]، أي ما يبصر فيه الطعام قبل مجيء الليل، ومن هنا يكون للمثل بعدين، ظاهريا مسجلاً للحدث، وباطنياً يشتمل على الموعظة والتوجيه.

ومن المضامين التربوية الدالة على (ترك الإتكال على الناس) ما ورد في المقامة (الزبيدية) قوله: (وأن لن يحكّ جلدي مثل ظفري)[٢].

وعليه قول الإمام الشافعي[٣]:

ما حك جلدك مثل ظفرك فتولى أنت جميع أمرك

وإذا قصـــدت لحاجـــة فاقصـــد معترفٍ بقدرك

ويضرب هذا المثل في ترك الإتكال على الناس.

فالأمثال تحتوي على أفكار ونصائح وخلاصة تجارب وتكون موجهة للناس لتأثر فيهم وتغيّر من سلوكهم، فيقول الحريري في المقامة (الرملية) في (القناعة) (لكل أكولة مرعى)[٤] أي لكل واحدٍ رزق مقسوم ويضرب مثلاً للقناعة.

ومن الأمثال الدالة على إحتمال المشقة من أجل الراحة قوله في المقامة (البكرية) (عند الصباح يحمد القوم السرى)[٥] ويضرب في الحث على مزاولة الأمر بالصبر وتوطين النفس حتى تحمد عاقبته، ويضرب أيضاً في احتمال الأذى والمشقة رجاء الراحة.

فإذا كانت الأمثال ملفوظات قيلت في وقت مضى من الأوقات، فإنها غالبا تمثل للمتكلم بها دليلاً وبرهاناً يستشهد به لإثبات الأفكار والآراء التي يطرحها، وهذا يعني أن الأمثال ترتبط بحادثة سابقة لكنها تحمل معنى جديداً في كل مرة تقال فيها[٦]، لذلك يستعمل الحريري المثل المشهور (في الصيف ضيعتِ اللبن)[٧] في موضعٍ جديد، وذلك في المقامة (البكرية) عندما يهرب الشيخ السروجي بسيف صديقه ليرهنه ويشتري به ما يسد رمقهم قائلاً: ((واعلم أن الأسجاع لا تشبع من جاع، لذلك أرى أن ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك،

---

(١) مجمع الأمثال: ١/ ٢٤٤، رقم المثل (١٣٠١).

(٢) شرح مقامات الحريري البصري: ٣/ ١٦٣.

(٣) ديوان الشافعي، تحقيق: مجاهد مصطفى بهجت: ٦٩.

(٤) شرح مقامات الحريري البصري: ٣/ ٣٧٢.

(٥) المصدر نفسه: ٣/ ٣٢٤؛ وينظر مجمع الأمثال: ٣/٢، رقم المثل (٢٣٨٢).

(٦) الحوار في المقامات، مقاربة تداولية: ١٩٢.

(٧) مجمع الأمثال: ٢/ ٦٨، رقم المثل (٢٧٢٥).

فناولنيه واقسم لأتقلب إليك بما تلتقم... فأحسنت به الظن وقلدتُه السيف والرهن، فما لبث أن ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة فكنت ملياً أترقبه ثم نهضت أتعقبه كمن ضيّع اللبن بالصيف فلم ألقه ولا السيف))[١]. وأصل المثل (في الصيف ضيعتِ اللبن)[٢]، والتاء في ضيعتِ مكسورة في كل حال إذا خُطبت به المذكر والمؤنث والإثنان والجمع لأن المثل في الأصل خطبت به إمرأة، وهي (دختنوس بنت لقيط بن زرارة) كانت تحت عمر بن عمرو بن عُدس وكان شيخاً كبيراً ففركته (كرهته) فطلقها، ثم تزوجت فتى جميل الوجه، وأجدبت السنة فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوية، فقال عمرو في الصيف ضيعتِ اللبن، فلما رجع الرسول وقال لها ما قال عمرو ضربت يدها على منكب زوجها وقالت: (هذا ومذقه خير) تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن خير من عمرو فذهبت كلتاهما مثلاً فالأول يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه، أو لمن فرّط في طلب الحاجة وقت إمكانها ثم طلبها بعد فواتها، أمّا الثاني فيضرب لمن قنع باليسير إذ لم يجد الكثير[٣]، ففي الأمثال العبر والدروس الشيء الكثير، فهي المصدر الذي يصوغ منها (المربي) مادته في توجيه الآخرين ونقل تجاربهم عبر التأريخ بصورة موجزة مختصرة، لذلك تحفز الأمثال الإنسان على أخذ الحيطة والحذر من ويلات الدهر وعثراته ومن أهل زمانه، ومن ذلك ماورد في المقامة (الرقطاء): (وارحل عنك بخفي حنين)[٤] وأصله أن حنيناً كان اسكافياً من أهل الحيرة، فساومه أعرابياً بخفين، فاختلفا حتى أغضبه، فأراد غيظ الأعرابي، فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفّيه وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلما مرّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخف بخفٍّ حنين ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى فلمّا انتهى إلى الآخر، ندم على تركه الأول، وقد كمن له حنين، فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنين إلى راحلته وما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلاّ الخفّان، فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال جئتكم بخفيّ حنين، فذهبت مثلاً[٥]، ويضرب هذا المثل عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

فالأمثال لها قدرة متميزة على إيقاظ الحواس وتهيئتها لإحتواء المضامين الأخلاقية السامية بأسلوب بلاغي جميل تأنس به النفوس وتنشرح لها الصدور فيورد الحريري بعض الأمثال التي تشتمل على مضامين وغايات تربوية ومن ذلك ماجاء في المقامة (القهرية) إذ

(١) شرح مقامات الحريري البصري: ٣/ ٣٤٧.
(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ٦٨.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٦٨.
(٤) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٤١.
(٥) ينظر مجمع الأمثال: ١/ ٢٩٦، رقم المثل (١٥٦٨).

يجمع الحريري بين ثلاثة أمثال يحث فيها على حسن الخلق والوفاء بالوعد وحفظ الأسرار قائلاً في المثل الأول: (الإنسان صنعة الإحسان)، والثاني: (شيمة الحر ذخيرة الحمد)، والثالث: (جوهر الأحرار عند الأسرار)[١]، أراد بالمثل الأول أن الإنسان أهل الإحسان، وهذا المثل يضرب بكل من ينقاد لغيره لمعروفه، والمعنى الحكمي للمثل أن طبيعة الإنسان الحرّ وشيمته هي أن لا ينسى المعروف بل يحمد صاحبه دائماً، وإن شيمة الإنسان تظهر عند حفظ الأسرار، إنها تعطي معاني الوفاء والإعتراف بالفضل وحفظ الأسرار.

ومن الأمثال التربوية الدالة على ترك (الطمع) قوله في المقامة (الرملية) (لكل أكولة مرعى)[٢]، وقوله في المقامة (الحجرية): (فلا تضرب في حديدٍ بارد)[٣] وهو مثل يضرب لمن يطمع في غير مطمع، أي للتعبير عن العمل بلا فائدة.

وقد أورد الحريري في المقامة نفسها المثل القائل: (أنفٌ في السَّماءِ وإستٌ في الماء)[٤] وهو مثل يضرب لمن يكبر مقاماً ويصغر فعلاً، أو الذي يدعي ما ليس فيه.

(١) ينظر شرح مقامات الحريري البصري: ٢/ ٩٤ - ٩٩.

(٢) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٣٧٢، لقد تم الإشارة إلى هذا المثل في الصفحات السابقة.

(٣) المصدر نفسه: ٣/ ٤٠٦.

(٤) المصدر نفسه: ٣/ ٤٠٧.

المبحث الثاني

الأمثال ذات المضامين التعليمية والتهذيبية

تشتمل الأمثال على أسلوب معرفي/ تعليمي تهذيبي سديد محكم السبك شائع الإستعمال ضمن العرف والتقاليد، كما أنه يرسم الطريق القويم والحكم على المواقف[١]، وللأمثال وظيفة نفسية تتمثل في قدرتها على التسلية وتهوين المصائب على النفس[٢]، وإنها تكسب الكلام ثقلاً فكرياً، وتؤدي وظيفة فنية في الإسهام في إنتاج الدلالة وإثراء النص وتضمينه المعارف والمعلومات المفيدة، وقد أشار الدكتور عبدالملك مرتاض إلى أن الحريري إنما (أنشأ مقاماته من أجل التهذيب والتنبيه والعناية بالمنحى التربوي النفسي الذي ينصب على أغوار النفس ومكامنها، فيحاول أن يجعل من شرها خيراً ومن كرهها حباً ومن تعصبها تسامحاً، فالتهذيب إذن تربية للنفس الإنسانية وإصلاح لسلوكها[٣].

لقد طرح الحريري في المقامة (الحلوانية) عدداً من الأمثال بوصفها حججاً جاهزة ليقوي ويؤيد بها رأيه المخالف لرأي جماعة يفضلون شعر البحتري على شعر غيره، ((فقال لمن يليه، ما الكتاب الذي تنظر فيه؟ فقال ديوان أبي عُبادة المشهور له بالإجادة، فقال هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته، قال: نعم، قوله:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ منضدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ[٤]

فإنه أبدع في التشبيه المُدَعِ فيه))[٥].

إلا أن الحريري المتحامل على (البحتري) كأستاذه الهمداني الذي تحامل على الجاحظ في مقامته (الجاحظية) أراد الحريري محاكاته فاختار البحتري ليقلل من شأنه، لذلك يستعين بمجموعة من الأمثال العربية ليفند رأي خصومه ويثبت وجهة نظره قائلاً: ((يا للعجب ولضيعة الأدب، لقد استَسْمَنْتَ يا هذا ذا ورمٍ، ونفخت في غير ضَرَمٍ، أين أنت من البيت النّدر الجامع مشبهات الثغر، وأنشده:

نفسي الفداءُ لثغرٍ راق مَبْسِمُهُ وزانَهُ شَنَبٌ ناهيكَ من شَنَبِ

يفترُ عن لؤلؤٍ رطبٍ وعن بَرَدٍ وعن أقاحٍ وعن طلعٍ وعن حَبَبِ[٦]

---

(١) الشعب المصري في أمثاله العامة، د. إبراهيم شعلان: ٣٢.

(٢) شعرية المثل عند المتنبي، البنية والوظيفة:

(٣) فن المقامات في الأدب العربي، عبدالملك مرتاض، الدار التونسية للنشر، ط٢، تونس، ١٩٨٨: ١٩٠.

(٤) ديوان البحتري: ٢/ ٢٣٧، في الديوان كأنما يضحك عن لؤلؤٍ.

(٥) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ٥١.

(٦) المصدر نفسه: ١/ ٥٢. النار أو الحطب سريع الإشتعال.

إلا أنه وجد في وجوههم ما يدل على عدم اقتناعهم برأيه، فاستعان بمثلين آخرين ليدعم بهما رأيه، قائلاً: ((يا رواة القريض... إن خلاصة الجوهر تظهر بالسّبكِ، ويد الحقِّ تصدَعُ رداء الشّك، وقد قيل فيما غبر من الزمان؛ عند الإمتحان يكرمُ المرءُ أو يهان...))[١].

لقد حشد الحريري ثلاثة أمثال متتالية لدعم رأيه وتفنيد رأي خصومه، فالمثل الأول: ((لقد استَسْمَنت يا هذا ذا ورم، ونفخت في غير ضرم))[٢] معناه لقد طلبت السمانة والسمنة من هزيل، وفي هذا ما يرميه بسوء الفهم، وقد أشار المتنبي إلى هذا المعنى في قوله:

أعيذها نظرات منـك صـادقة أن تحسَبَ الشَحمَ فيمن شحمه وَرَمُ

ومـا انتفاعُ أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنـوار والظلـمُ[٣]

ويضرب هذا المثل لمن يضع الشيء في غير موضعه، أما المثل الثاني: ((إن خلاصة الجوهر تظهر بالسّبك، ويد الحق تَصْدَعُ رداء الشك))[٤] ومعناه إذا عرضت جواهر الأرض وهي الحديد والذهب والنحاس وغيرها على النار فما كان خالصاً زاد صفاءً وجودة وما لم يكن خالصاً فضحته النار، وأظهرت عيبه، ويضرب هذا المثل لمن يثق ببضاعته.

أما المثل الثالث قوله: ((عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان))[٥] فقد تمثل به الحريري عندما رأى استنكار القوم لرأيه، وعدم تصديقهم لدعوته، فعرض عليهم اختباره، ويضرب هذا المثل في موقفين، الأول للذي يدعي ما ليس فيه، والثاني في اختبار الناس عند الصعاب، والمعنى الثاني هو المقصود في السياق.

يستعين الحريري على لسان بطله (أبو زيد السروجي) بالأمثال كحجج جاهزة لإثبات مجموعة من آرائه وأفكاره، مستهيناً بمجموعة من علماء البلاغة والبيان متطاولاً عليهم في بلدتهم (المراغة) وقد تصنع بهيأة رجلِ كهل يدافع عن الأدباء المحدثين، وأنهم لا يقلون عن القدماء سوى أنهم أقدم منهم مولداً، بل إن من المحدثين من يفوق الأوائل في النظم واستجلاب الاستعارات وما إلى ذلك، فسأله ناظورة الديوان عمّن يمتلك هذه الصفات الحسنة التي من الصعب إيجادها في هذا الزمن، فقال له: أنا، فحذره ناظورة الديوان من مغبة الإدعاء قائلاً له:

---

(١) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ٥٢.

(٢) مجمع الأمثال:٢/ ١٨٩.

(٣) شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي: ٢/ ١٠٠٧.

(٤) شرح مقامات الحريري: ١/ ٥٢. السّبك: الإختبار بالنار.

(٥) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ٥١؛ وينظر مجمع الأمثال: ٢/ ٣٧، رقم المثل (٢٥٥٧).

((يا هذا إن البغاث بأرضنا لا يستنسر))[١]، أي الطيور الضعيفة لا تشبه النسر في الإقتناص، ولا تعود نسوراً في بلادنا، ويضرب هذا المثل للضعيف يظهر قوة، وللذليل يظهر عزة.

لذلك يطلب منه ناظورة الديوان أن لا يعرض نفسه للفضائح، إلا أن السروجي يجاوبه بالمثل القائل: ((كل امرئٍ أعرف بوسم قِدْحِهِ وسيتفرّى الليل عن صبحِهِ))[٢] وأصل المثل ((صَدَقَني وسمَ قِدحه))[٣] فالوسم العلامة والقدح السهم، يريد قدح الميسر، وكان الرجل في الجاهلية يعمل في قِدحه علامة يعرف بها، ويضرب هذا المثل للعالم بقدر نفسه الواثق بها، ومفاد المعنى الحكمي في المثلين، نحن أهل علم ومعارف ولا تجوز علينا المخاوف.

فكل مثل يوجه إلى متلقٍ يتوارى خلفه نوايا تتحول إلى وظائف، ربما توجيهية تهذيبية، كقوله في المقامة (الكرجية) وهو يحث بعض الأغنياء على فعل الخير والإنفاق في سبيل الله قائلاً: ((يا أرباب الثراء الرافلين في الفِراء من أوتي خيراً فلينفق... فإن الدنيا غرور والدهر عثور... فإن السعيد من اتعظ بسواه))[٤]، أي العاقل من اعتبر بما لحق غيره من مكروه، فيتجنب الوقوع في مثله، وأصل المثل (السعيد من وعظ بغيره)[٥].

وفي المقامة (المراغية) يوظف الحريري المثل لما يحمله من شحنة حجاجية، تتمثل في تحفيز محاوريه وجذب انتباههم، فضلاً عن تضمينه إعلان الثقة بالنفس والفوز في الإختبار، إذ طلب منه إنشاء رسالة يودع فيها شرح حاله، شريطة أن تكون إحدى كلمتيها يعمها النّقط وحروف الأخرى لم يعجمن، فقال الشيخ السروجي: ((لقد استسعيت يعبوباً، واستسقيت اسكوباً، وأعطيت القوس باريها، وأسكنت الدار بانيها))[٦]. ومعناه لقد طلبت الجري من فرس سريع، مستعار من اليعبوب وهو النهر الشديد الجري، وقوله استسقيت اسكوباً، أي طلبت السقيانة من غيمة شديد المطر، وقوله: (أعطيت القوس باريها) أي من صانعها وناحتها، ومعناه فوضت الأمر إلى من يحسنه، وأصل المثل (اعط القوس باريها)[٧] أي

---

(١) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ١١٣؛ وينظر مجمع الأمثال: ١/ ١٠، رقم المثل (٨). البغاث: ضعاف الطير وصغارها.

(٢) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ١١٣.

(٣) مجمع الأمثال: ١/ ٣٨٩، رقم المثل (٢١١٠).

(٤) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ١١٣.

(٥) مجمع الأمثال: ١/ ٣٤٣، رقم المثل (١٨٣٩).

(٦) شرح مقامات الحريري البصري: ١/ ١١٦ – ١١٧. اليعبوب: الفرس السريع.

(٧) المستقصى في الأمثال:١/٢٥٠، رقم المثل(١٠٤٨).

استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه، أما (أسكنت الدار بانيها) أي أسندت الأمر إلى صاحبه، وهذه الأمثال يريد بها أنه أهل لكل ما طلب منه[١].

ويورد الحريري مثالا مشابهاً للأمثال السابقة في المقامة (الفرضية) قائلاً: ((على الخبير سقطت وعند ابن بجدتها حططت))[٢]، أي على العارف بالأمر وقعت، وقد عبر عن العثور بالسقوط، لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه، ويقال للعالم بالشيء المتقن له: ابن بجدتها، ثم كثر حتى قيل لكل خبير بشيء ما، فالأمثال فيها إفهام وتصوير للمعاني.

ومن الأمثال التعليمية النفسية، قوله في المقامة (الفرضية): ((فربّ رميّة من غير رام))[٣]. أي ربّ رميّةَ مصيبة حصلت من غير رامٍ ماهر، وهذا المثل قاله: (حكيم بن عبد يغوث) وكان من أرمى أهل زمانه، خرج مع ابنه للصيد فإذا هم بمهاة فرماها فأخطأها ثم مرت به أخرى فقال له ابنه مطعم: يا أبت ناولني القوس فغضب أبوه فهمّ أن يعلوه بها فقال له مطعم: إن سهمي سهمك فناوله القوس فرمى فلم يخطيء وأصاب، فقال حكيم: (رب رميّة من غير رام)[٤] أي من غير حاذقٍ بالرمي، والمعنى الحكمي للمثل أن الغرض قد يصيبه من ليس من أهل الرماية، فيضرب عندما يتفق لمن ليس من شأنه أن يصدر منه.

ومن الأمثال التي تكشف خفايا النفس قوله في المقامة (الوبرية): ((فأخذ يلدغ ويصيء))[٥]، وأصل المثل: ((تلدغ العقرب وتصيء))[٦]، ويضرب هذا المثل للظالم في صورة المتظلم.

ومن الأمثال الدالة على التسلية وتهوين المصائب، قوله في المقامة (الوبرية): ((ويلٌ أهون من ويلين))[٧]، وفيه شبه من المثل القائل: (بعض الشرّ أهون من بعض)[٨]،

---

(١) فينجح الشيخ السروجي في الإختيار فينشيء رسالته المشهورة بالرقطاء، إذ يقول فيها: ((الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين، واللؤم غص الدهر جفن حسودك يشين))، المقامة المراغية، شرح مقامات الحريري: ١/ ١٢٣.

(٢) شرح مقامات الحريري: ٢/ ٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٦٣.

(٤) مجمع الأمثال: ١/ ٢٩٩، رقم المثل(١٥٨١).

(٥) شرح مقامات الحريري:٣/٦٤.

(٦) مجمع الأمثال: ١/ ١٢٦، رقم المثل (٦٤١).

(٧) شرح مقامات الحريري:٣/٦٥.

(٨) معجم الأمثال: ٢/ ٣٧٠، رقم المثل (٤٤٠١).

ويضرب هذا المثل تسلية لمن نال بعض المكروه، إذ يجد فيها المتلقي تفريجاً لكربه وتهويناً لهمه.

ومن الأمثال التوجيهية التعليمية، قوله في المقامة (الساسانية): ((ومثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصى))[١] وأصل المثل (لا يقرع له العصا ولا يقلل بالحصى)[٢]، ويضرب للمحنّك المجرّب، وأول من قرعت له العصا (عامر بن الظرب العدواني) وكان من حكماء العرب يقال له ذو الأصبع، وذلك أنه كان في حداثة سنه يحكم بالحق، فلمّا كَبُرَ عمره استنّ واختل أمره، فربّما زلّ، فشكا الناس منه ذلك، ولم يقدر أحد أن ينبهه، وكانت له ابنة ذكية، فلمّا بلغها ذلك لامته، فقال لها كوني قريباً منّي، فإذا أنكرتي مني شيئاً فاضربي لي بالعصا لأسمع فأرجع عن الخطأ[٣]، والمعنى الحكمي للمثل أنه لا يحتاج في الأمور المهمة إلى تنبيه غيره له.

ومن الأمثال التعليمية، قوله في المقامة (الشعرية): (ويقع الحافر على الحافر)[٤] وقد تمثل به الحريري على لسان ابن السروجي عندما اتهم بسرقة أبيات لأبي زيد السروجي، إذ قال له الوالي: ((تباً لك من خِرّيج مارق وتلميذ سارق، فقال الفتى... وإنما اتفق توارد الخواطر، كما قد يقع الحافر على الحافر))[٥]، ويضرب هذا المثل لتوافق الأشياء.

فالمثل في جوهره صورة ايحائية، لاتنطق بالمعنى إلا أوحت بآخر، هو معنى المعنى، ومن ذلك قوله في المقامة (الواسطية): (فدبره تدبير طبّ لمن حبّ)[٦] أي صنعة حاذق لمن يحبه، ويضرب في التأنف في الحاجة واحتمال التعب فيه.

ويستشهد الحريري بثلاثة أمثال في المقامة البكرية، بقوله: (فأضِئْ لي أقدح لك، فقال: ليَسْرُ عنك همُّكَ، فربّ أخٍ لك لم تلده أمّك... فقال عند الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرى... فهل ترى كما أرى)[٧]، المثل الأول (فأضئْ لي أقدح لك) أي كن لي أكن لك، وربما معناه بين لي حاجتك حتى أسعى فيها، ويضرب للمساواة في المكافأة بالأفعال[٨]، والمثل الثاني

---

(١) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٤٢٨.
(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ٢٤١، رقم المثل (٣٦٧٠).
(٣) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٤٢٨.
(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٢١٦.
(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٢١٦.
(٦) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٩١؛ وينظر مجمع الأمثال: ٢/ ٣٠٢، رقم المثل (٤٠٥).
(٧) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٤٢٣ – ٤٢٤.
(٨) ينظر مجمع الأمثال: ١/ ٤٢١، رقم المثل (٢٢١٦).

(ربّ أخ لك لم تلده أمّك)[١]، ويقصد به الصديق الوفي، فإنه ربّما يؤانسك من ليس بأخ خليقة، والمثل الثالث: (عند الصباح يحمد القوم السّرى)[٢] يقال أن أول من قاله (خالد بن الوليد) حين بعثه أبوبكر (رضي الله عنه) إلى العراق من اليمامة، ويضرب في الحث على مزاولة الأمر بالصبر وتوطين النفس حتى تحمد عاقبته، ويضرب هذا المثل في احتمال المشقة العاجلة رجاء الراحة الآجلة.

وعلى الصعيد المعرفي النفسي تضمنت المقامات الحريرية بعض الأمثال التحذيرية فيها التحريض على فعل الشيء أو تركه، ومن ذلك قوله في المقامة (الشعرية): (إن ريحه لاقت إعصاراً)[٣] ويضرب لمن لقي أشدّ منه دهاءً، وقد استشهد به الحريري عندما نصب السروجي على القاضي وأخذه بسحر لسانه، وعندما أراد القاضي أن يمسكه ليحاسبه، هرب السروجي مستشهداً بالمثل القائل: (أنّى يلتقي سهيل والسها)[٤]، لقد مثل بالكوكبين سهيل وسها وهو مثل تشبيهي من حيث أن (السها نجم خفي من بنات نعش وبنات نعش لا تغرب أبداً في بلاد أرمينية،.. وسهيل لا يرى في شيء من هذا البلد، فلا يلتقي سهيل وسها بوجه)[٥]، وقد استشهد الحريري بهذا المثل إقناعاً للحارث بأنه سيكون في مأمن من بطش القاضي.

وقوله في المقامة (الزبيدية): (ألا إنّ من أنذر فقد أعذر)[٦]، أي من حذرك مما يحل بك صار معذوراً عندك، وأصل المثل (أعذر من أنذر)[٧]، إنه تحريض استطاع من خلاله أن يصل إلى مراده دون أن يخشى مغبة قوله.

وفي المقامة (الرازية) يلجأ الحريري إلى توظيف الخطاب الديني لإقناع المتلقي وتخويفه عن مغبة عمله، وتوجيهه الوجهة الصحيحة، ومن ذلك قوله: (سيوضح لك الميزان، وكما تدين تدان)[٨]، ثمة ميزة كبيرة تظهر في بعض الأمثال وهي حركته الإيقاعية الناجمة عن السجع، وهو الإستخدام الذي يأتي أحياناً مقترناً بإيقاع داخلي ناتج عن المماثلة الصوتية

---

(١) ينظر مجمع الأمثال: ١/ ٣٠٢، رقم المثل (١٥٩٥).
(٢) شرح مقامات الحريري: ٣/٤٢٤، وينظر: مجمع الأمثال: ٢/ ٣، رقم المثل (٢٣٨٢).
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٤٦.
(٤) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.
(٥) المصدر نفسه: ٣/ ٦٣.
(٦) شرح مقامات الحريري: ٣/ ١٧٤.
(٧) مجمع الأمثال: ٢/ ٢٩، رقم المثل (٢٤٩٦).
(٨) شرح مقامات الحريري البصري: ٢/ ١٧٩.

وشبه التامة بين حروف كلمات المثل وبعض جمله، إضافة إلى حسن التقسيم الذي تتمتع به بعض الجمل المثلية[١]، وفي هذا المثل استطاع الحريري أن يركب سجعتين اثنتين من غير كلامه، فالجملة الاولى تضمين لمعنى الحديث النبوي الشريف الذي يتحدث عن وضع الميزان قي يوم القيامة، والثانية مثل عربي مشهور (كما تدين تدان)[٢]، أي كما تجازي تجازى، ومن خلاله استطاع أن يوجه القاضي الوجهة الصحيحة.

ومن الأمثال ذات المضامين الدينية التوجيهية، قوله في المقامة (الحرامية) (... وإن الدين إمحاض النصيحة ... وإن المستشار مؤتمن)[٣]، إنه تضمين لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): ((الدين النصيحة، قال لمن؟ قال لله ولرسوله ولأئمة المؤمنين))[٤]، والمستشار الذي تستشيره في رأيك مؤتمن قد أمن على أسرار النفوس ولا يخون فيها، وهذا أيضا تضمين آخر لحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فيكون بذلك قد جمع بين حديثين في معنى قريب ليصل إلى ما يريد.

ومن الأمثال التوجيهية – التحريضية – الدالة على ترك الشيء، قوله في المقامة (الصعدية): (تحككت العقرب بالأفعى، واستنت الفصال حتى القرْعى)[٥]، يريد السروجي من خلال هذا المثل أن يوصل رسالة مفادها بأنه أعلم من ابنه في المسائل التي دار النقاش فيها، والشطر الأول من المثل يضرب لمن ينازع من هو أقوى منه، أو يتشبه بغيره ويحكي فعله ولا يقوى قوته، أما الشطر الثاني فيضرب للذي يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلال قدره[٦]، وفي هذا المثل إشارة تداولية تفيد تهكم الأب من ابنه والسخرية منه، ومن الجدير بالإشارة إلى أن ضرب المثل المتضمن ألفاظ الحيوانات والحشرات هو في الغالب تحقير لمن وجه إليه الكلام.

---

(١) فن الأمثال ومجتمعنا القديم والمعاصر، د. عبدالمجيد الأسداوي: ٥٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ١٥٥، رقم المثل (٣٠٩٣).

(٣) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٤١٦.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٧٥، رقم الحديث (٣٢٨١).

(٥) شرح مقامات الحريري: ٣/ ٢٠٧. استنت الفصال: أي سمنت، الفصال: جمع فصيل: ولد الناقة، القرعى: جمع قريع، أي الذي ليس في رأسه شعر.

(٦) مجمع الأمثال: ١/ ٣٣٣.

وقد تضمنت المقامات ما يناسبها من شعر يجري مجرى الأمثال، من نوع ما اصطلح عليه بـ (الأمثال المكنية) إذ توفرت فيها شروط المثل من الإيجاز وإصابة الغرض[١]، ومن ذلك قوله في المقامة (المعرية):

أنا السروجي وهذا ولدي والشّبلُ في المَخْبَرِ مثلُ الأسدِ[٢]

يريد أن يقول أن الشبل يشبه الأسد في الخبرة والتجربة، وقد تمثل بهذا المثل ليثبت كفاءة ابنه في الحيلة والإحتيال.

ويورد في المقامة (الساسانية) المثل نفسه بمعنى آخر، إذ يقول: (ومن أشبه أباه فما ظلم)[٣]. أي من أشبه أباه فما ظلم أمه بتهمة ولا ريبة، أو ما ظلم أباه حتى يُظنّ بأمه السوء، وهذا المثل يضرب للولد إذا كان على شاكلة أبيه خَلقاً وخُلقاً.

وفي المقامة نفسها يورد المثل القائل: (ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة)[٤] ويضرب في تساوي الناس في الشرّ والخديعة أو يضرب عند تشابه الشيئين، فتلتقي الأمثال الثلاثة في معنى حكمي واحد وهو تشابه الابن بالأب في الخَلق والخُلُقِ.

(١) رأي في المقامات، عبدالرحمن ياغي: ٤٥.

(٢) شرح مقامات الحريري: ١/ ١١٦.

(٣) المصدر نفسه: ٥٨٢؛ وينظر مجمع الأمثال: ٢/ ٣٠٠، رقم المثل (٤٠١٩).

(٤) شرح مقامات الحريري: ٥٨١؛ وينظر مجمع الأمثال: ١/ ٢٧٥، رقم المثل (٣٨٣١).

الخاتمة

١. أراد الحريري من مقاماته أن تكون موجهة للناس لتؤثر فيهم وتغير من سلوكهم.

٢. طغى المضمون التربوي على بقية المضامين في الأمثال، لذلك كثرت فيها معاني النصح والإرشاد والتوجيه والوعظ.

٣. لقد وردت الأمثال في المقامات الحريرية على شكلين، الأول؛ استدعاء المثل بعبارته الكاملة كقوله: (لا عطر بعد عروس)، أما الشكل الثاني؛ استدعاء المثل عبر تحوير عباراته ليلائم السياق المقامي الوارد فيه.

٤. وظّف الحريري الأمثال في مقاماته لِما لها من فاعلية في الحجاج، ومدى قدرتها على التعبير عن الفكرة التي يريد طرحها.

٥. كانت الوظيفة التأثيرية من أبرز وظائف المثل، لذلك كثرت فيه الأساليب الطلبية وأساليب التوكيد.

٦. تنوعت الأمثال في المقامات الحريرية حسب مقامات الخطاب وغاياته.

٧. اختزنت الأمثال مضامين تربوية واجتماعية ومعرفية نفسية أخلاقية.

٨. ظهرت في الأمثال التي استشهد بها الحريري عمق نظرته إلى الحياة إختمار التجربة الإنسانية.

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- الأمثال العربية – دراسة تحليلية، عبدالمجيد قطامش، دار الفكر، ط١، دمشق – سوريا، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- الأمثال العربية ومصادرها في التراث، محمد أبو صدقة، مكتبة الأقصى، ط١،عمان – الأردن.(د.ت)
- الأمثال في الحديث الشريف مفهومها وأقسامها ودلالاتها، علي موسى الكعبي، دار ومكتبة البصائر، ط١، لبنان، ٢٠١١م.
- الأمثال في النثر العربي القديم، د. عبدالمجيد عابدين، دار مصر للطباعة، ط١، مصر، ١٩٥٦م.
- الأمثال المولدة، وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي، د. فيصل الحداد، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا،١٩٩٨م.
- تراث الاسلام، جب، طبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، ١٩٧٦.
- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف،القاهرة،١٩٧٧م.
- ديوان الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: مجاهد مصطفى بهجت، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- رأي في المقامات، عبدالرحمن ياغي، المكتب التجاري، ط١، بيروت، ١٩٦٩م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن عماد الحنبلي، دار الآفاق الحديثة، بيروت،(د.ت).
- شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- شرح مقامات الحريري البصري، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي (ت ٦٢٠هـ)، ط١، مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي – مصر، ١٩٥٢م.
- الشعب المصري في أمثاله العامة، د. إبراهيم شعلان، الهيئة العامة للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- فن الأمثال ومجتمعنا القديم والمعاصر، عبدالمجيد الإسداوي، دار غيداء للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٧م.
- فن المقامات في الأدب العربي، عبدالملك مرتاض، الدار التونسية للنشر، ط٢، تونس، ١٩٨٨م.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م.

❖ في النثر العربي، وفنون الكتابة، د. توفيق أبو الرُّب، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن.

❖ مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

❖ المستقصى في أمثال العرب، جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية،ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.

❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل(٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

❖ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار المأمون، بغداد،(د.ت).

❖ معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

❖ المناظرة في الأدب العربي، حسين الصديق، الشركة المصرية للنشر، لونجمان، القاهرة،٢٠٠٠م.

❖ منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، عبدالعزيز بليق، دارالفتح، بيروت، ١٩٧٧م.

❖ النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠١٠.

❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية

❖ الحوار في المقامات – مقاربة تداولية، جاسم أحمد الجحيشي، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: د. منتصر عبدالقادر الغضنفري، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، الموصل، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

❖ الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية، دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال، د. أمين عبدالله محمد حسن، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الذيليين، كلية الآداب – قسم اللغة العربية، ٢٠٠٥م.

ثالثاً: المجلات والدوريات

- شعرية المثل عند المتنبي، البنية والوظيفة، حميد سمير، مجلة فكر ونقد، العدد(٣٥) http://aljabriabed.com
- المضامين التربوية للأمثال السائدة في البيئة الدمشقية، د. منى كشيك، مجلة جامعة دمشق، الجلد(٣٠) العدد(٢) السنة ٢٠١٤م.